لباسُ (ثوب) العُرس

«طُوبَى لِلْمَدْعُوِّينَ إِلَى عَشَاءِ عُرْسِ الْخَرُوفِ!» (رؤ ١٩: ٩)

تمهيد:

بعدما قدَّم الربُّ يسوع لرؤساء الكهنة وشيوخ الشعب مَثَل الكرَّامين الأردياء، الذين أقامهم صاحب الكرم على كرمه الذي أعدَّه جيِّدًا وأحاطه بسياج، وبنى داخله معصرة، فإذ بالكرَّامين يفاجئون الجميع، إذ أمسكوا بالعبيد المُرسَلين إليهم ليأخذوا من ثمر الكرم، فجلدوا بعضهم، وقتلوا بعضًا، ورجموا بعضًا (انظر: مت٢١: ٣٣–٣٦). ثم كرَّروا فعلهم هذا مع عبيد آخرين، وفي النهاية، قتلوا ابن صاحب الكرم الذي أرسله إليهم. ففهمَ السامعون أنَّ هذا المَثَل مُنطبِقٌ عليهم، وموجَّهٌ للأمة اليهودية ورؤسائها. حينئذٍ، أتبَعَ الربُّ المَثَل السابق بمَثَلٍ آخر، لهم وللجميع (يهودًا وأمميين)، عُرِف بمَثَل عُرس ابن الملك (مت٢٢: ١–١٤)، حيث أراد الربُّ أن يُظهِر به للجميع عِظم سخائه ورحمته دون تمييز، وأنهما مقدَّمان للبعيدين كما للقريبين. لأنَّ اليهود الذين ظنُّوا أنهم أبناء إبراهيم، ووارثون وحدهم لبركته قد سقطوا من النعمة، ولم يقبلوا دعوة الخلاص، ولم يعملوا أعمال أبيهم إبراهيم، ولم يفرحوا مِثله عندما نظر عن بُعدْ بُشرى الخلاص، فصدَّقها وآمن وفرح بها. لذلك طُرِدوا من أمام وجهه، وجاء الربُّ بالبعيدين – من الأمم – بإيمانٍ وعزم قلب، فصدَّقوا وآمنوا وسبقوا الجميع نحو الملكوت، مثلما يظهر لنا من أمثلة منهم، كما في شخص كرنيليوس قائد المئة، والمرأة الكنعانية وغيرهم.

الدعوة إلى العُرس دعوة إلهية:

الدعوة إلى العُرس السمائي قدَّمها الربُّ – في هذا المَثَل – للجميع، كهبة مجَّانية؛ إذ قال: «اذْهَبُوا إِلَى مَفَارِقِ الطُّرُقِ»، «كُلُّ مَنْ وَجَدْتُمُوهُ» (مت٢٢: ٩–١١). ولم يكن هناك شرط لحضور هذا العرس سوى قبول الدعوة؛ بمعنى الإيمان بالربِّ يسوع وقبوله مخلِّصًا (بالمعمودية المقدَّسة). فالله يريد **أنَّ الجميع يخلصون**: (راجع: ١تي٢:٤)، لذلك فدعوة

الآب: «**تَعَالَوْا إِلَى الْعُرْسِ**» إنَّما هي – في الواقع – دعوة إلهية تحمل سلطانًا فائقًا، يقدر أن يجتذب قلوب المدعوِّين إلى العريس السمائي، كيما يشتركوا في وليمته، ويتَّحدوا به اتحادًا أبديًّا، وذلك دون إجبار أو إلزام. فالآب هو صاحب هذه الدعوة، والابن هو العريس الذي دفع تكلفتها، والروح القدس هو العامل فينا ليُهيِّئنا لشركة العرس السمائي ويُلبسَنا لباس العرس.

ولإيضاح هذا الأمر نقول: إنَّ الله الآب قد صنع لابنه الوحيد (العريس) هذا العُرس الكبير، حينما أعلن عن محبته لنا، بتجسُّد ابنه الحبيب من أجلنا، لكي نشترك في وليمته، ونتَّحد به، ونلتصق بروحه القدوس، من خلال الكنيسة (جسده السرِّي على الأرض) لأنَّ من التصق بالربِّ فهو روح واحد: (انظر ١كو٦:١٧).

كذلك فإنَّ الدعوة إلى العرس، هي دعوة للعطاش إلى الحكمة لكي يرتووا منها. وملكوت الله هنا في هذا الزمان، هو نفسه الكنيسة المعتبَرة أنها عرس دائم، أقامه الآب لابنه لينعم به معها (أي الكنيسة)، وتنعم هي به بحلوله الدائم في وسطها. فالحكمة تدعو الجميع هنا قائلة: «هَلُمُّوا كُلُوا مِنْ طَعَامِي، وَاشْرَبُوا مِنَ الْخَمْرِ الَّتِي مَزَجْتُهَا. اتْرُكُوا الْجَهَالاَتِ فَتَحْيَوْا، وَسِيرُوا فِي طَرِيقِ الْفَهْمِ» (أم٩: ١–٦). فهي دعوة إلهيَّة، يحرم نفسَه منها كلُّ من يظن أنَّه في حالة شبع، لأنها دعوة للخطاة التائبين، لينعموا بها أكثر من الذين يظنون أنفسهم أبرارًا. فالأب قد أقام وليمته لابنه الضال حينما عاد، وألبسه الحُلَّة الأولى، ووضع خاتم البنوَّة في إصبعه، بينما الابن الأكبر، بسبب كبرياء قلبه، حزن ولم يشأ أن يدخل، فحرم نفسه من شركة الفرح وأطايب الوليمة، لأنَّه كان يشعر أنه أفضل من أخيه، مثلما ظنَّ بنو إسرائيل أنهم الأفضل بسبب بنوَّتهم الجسديَّة لإبراهيم، دون أن يقدِّموا دليلًا واحدًا من حياتهم وإيمانهم يبرهن على ذلك.

وهكذا انفتح باب الخلاص للبشرية على مصراعيه، ليدخل الجميع إلى الوليمة (يهودًا وأممًا)، ويفرح الجميع في عرس الابن، مع الآب والروح القدس (في الكنيسة عروس الخروف).

موقف المدعوِّين من العُرس:

تباينت مواقف المدعوِّين إلى العرس تجاه هذه الدعوة الإلهيَّة المجَّانية، ووقفوا جميعهم

موقفًا مُخزيًا منها، يعبِّر عنه البشير بقوله: «وَلكِنَّهُمْ تَهَاوَنُوا وَمَضَوْا» (مت ٢٢:٥)، وهذا الأمر أغضب الملك كثيرًا، فأرسل جنوده فأهلك هؤلاء القاتلين وأحرق مدينتهم: (مت ٢٢:٧). والغريب أنَّ هؤلاء المدعوِّين، برغم محاولات الملك (الآب) الدؤوبة لدعوتهم واستمالتهم، بتوفير كل شيء لهم، من ذبائح وثيران ومسمَّنات، وبطمأنتهم بأنَّ كلَّ شيء قد أُعدَّ؛ إلاَّ أنَّ بعضهم اعتفى بحجة الانشغال بأعمال في الحقل، وآخرون لانشغالهم بتجارتهم؛ كمثال أهل العالم اليوم، الذين حينما يُدعَون ببشارة الإنجيل، يستخفُّون بها وينشغلون عنها بأمور أخرى كثيرة، وبأمور تختصُّ بذواتهم ومحبتهم للمال، واهتمامات متنوعة أخرى – حتى ولو كانت منطقية حسب الظاهر – مثل مرثا أخت لعازر ومريم، ولكنهم نسوا أمر حياتهم الأبديَّة، وشركتهم في العرس السمائي، وأنَّ الوقت الآن هو وقت مقبول، وإلاَّ حُرموا من الفرح الأبدي. فهم قد أحبُّوا مجد وزهو هذا العالم أكثر من الله؛ كما فعل تلميذ بولس الرسول الذي كتب عنه الرسول: «دِيمَاسَ قَدْ تَرَكَنِي إِذْ أَحَبَّ الْعَالَمَ الْحَاضِرَ...» (٢تي ٤:١٠). وهناك أيضًا من يقاومون الحقَّ: بشتم وإهانة خدَّام الله الذين يدعونهم للعرس، وآخرون يعترفون أو يوافقون ويُلبُّون الدعوة ظاهريًّا، ولكنهم لا يقبلونها في قلوبهم، لأنَّ لهم صورة التقوى ولكنهم ينكرون قوَّتها.

فها الحكمة تدعو محبيها للوليمة، ولكن قليلون هم من يستجيبون ويفرحون بدعوتها، فيُلبُّون النداء. ولكن هناك أيضًا حكماء يطلبون الحكمة، وينتظرون أن يشتركوا في هذه الوليمة وهذا العرس، كمثال ملكة التيمن التي جاءت بهداياها لتنظر حكمة سليمان، وها هنا أعظم من سليمان يدعونا إلى عرسه. فالاعتفاء ورفض الوليمة كان هو السمة الغالبة على كثير من المدعوِّين (في هذا المَثَل)، ولم تنجح معهم كلُّ محاولات الترغيب وطول الأناة واللطف، ولا حتى التنبيه لإقناعهم بالحضور، فصَدَق عليهم القول: «وَبِمَنْ أُشَبِّهُ هذَا الْجِيلَ؟ يُشْبِهُ أَوْلاَدًا جَالِسِينَ فِي الأَسْوَاقِ يُنَادُونَ إِلَى أَصْحَابِهِمْ ويقولون: وَيَقُولُونَ: زَمَّرْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَرْقُصُوا! نُحْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَلْطِمُوا!... وَالْحِكْمَةُ تَبَرَّرَتْ مِنْ بَنِيهَا» (مت١١: ١٦–١٩). إذن فليس كلُّ من هو مدعوٌّ سيقبل نعمة الله لكي تقدِّسه؛ بل قليلون هم الذين يتجاوبون، فيصير لهم ثوب (الحياة المقدَّسة)، ويتأهَّلون للعرس بثياب لائقة بهذا المحفل السمائي.

ما هو لباس (ثوب) العرس؟

كما ذكرنا في البداية، نكرِّر أنَّ ثوب العرس هو هبة مجانية يعطيها صاحب العرس

للمدعوِّين، وليس له أي علاقة بالأعمال أو السلوك أو البرّ الشخصي لأيٍّ منهم. كما أنَّ عدم ارتدائه يمثِّل إهانة شخصية وعدم اعتبار لصاحب العرس، وليس للمدعو أيُّ عذر في عدم ارتدائه. أمَّا من جهة توصيف وشرح ماهية هذا الثوب أو اللباس الخاص بالعرس؛ فقد أسهب الآباء في الحديث عنه من زوايا متعدِّدة، وجميعها جيِّد وصحيح، مما يؤكِّد ثراء واتساع الإدراك الروحي لمعنى "لباس العرس"، الذي يحمل الكثير من المعاني الروحية. وفيما يلي أهم وأشهر المعاني عن "لباس العرس":

١- **ثوب بر المسيح** (الذي نناله في المعمودية): إنَّ ثوب العرس الذي يلزم أن يرتديه المدعو إلى عرس الملك، في الوليمة السمائية، هو برُّ المسيح المجَّاني الذي يهبه لنا الآب السماوي بالإيمان والمعمودية المقدَّسة، باسم الثالوث القدوس، ففي هذه المعمودية ننال استحقاقات شركة الموت والقيامة مع المسيح، وكل حقوق التبنِّي، والحياة الأبدية. وهي هبات مجانية لكل من يؤمن بابنه يسوع، وبخلاصه الذي أتمَّه على الصليب من أجلنا. فالآب قد أعدَّ لنا هذا الثوب؛ ثوب برِّ المسيح، لنكتسي به منذ قبولنا لهذا الإيمان، ونوالنا المعمودية المقدَّسة؛ كما يقول الرسول: «لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ» (غل ٣:٢٧)، وأيضًا: «لأَنَّ غَايَةَ النَّامُوسِ هِيَ: الْمَسِيحُ لِلْبِرِّ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ» (رو ١٠:٤)، وكذلك قول بولس لأهل كورنثوس: «... لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ» (٢كو ٥:٢١). وكلُّ خاطئ لا يقبل في حياته برَّ المسيح، سوف يُسأل كيف دخل إلى العرس! فيسوع يدعونا لكي نلبس ثوب برِّه الحقيقي، والحفاظ على هذا الثوب بالحياة الطاهرة والسيرة المقدَّسة، اللائقة بهذا الثوب البهيِّ، لنكون أهلًا للجلوس على مائدته في ملكوته. ويُذكِّرنا بولس الرسول بما نلناه في المعمودية المقدسة من نعمة التجديد والاكتساء بثوب برِّ المسيح، حتى نصونه ونحفظه، فيقول: «لكِنِ اغْتَسَلْتُمْ، بَلْ تَقَدَّسْتُمْ، بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ إِلهِنَا» (١كو ٦:١١).

إذن، المسيح قد أعدَّ لنا هذا اللباس الذي يكسونا به في يوم عرسه، وهو برُّه وقداسته، فإن نحن استبدلناه ببرِّنا الذاتي يصير كخِرقة نجسة (راجع: إش ٦٤:٤)، ولكن الذين بيَّضوا ثيابهم في دم الخروف (انظر: رؤ ٧:١٤)، هؤلاء الذين اكتسوا ببرِّ المسيح، وحفظوا ثيابهم من دنس العالم ليضيئوا بنور سيِّدهم، سيكونون في فرح دائم،

واستحقاق للشركة مع العريس في عرس مجده.

٢– **ثوب التوبة والغفران** (الذي نناله بالتوبة والإيمان): يدعونا الربُّ يسوع لنأتي إليه مقدِّمين له توبة نقيَّة، حتى نقدر أن نلبس ثوب الغفران وبرَّ المسيح، وذلك بحياة مقدَّسة، ونفس منسكبة أمام الله ليرفعها إلى استحقاق عرسه. فالإيمان والتوبة يُلبِسان الإنسان ثوب القبول والغفران والتبرير؛ مثلما حدث مع الابن الضال، الذي برجوعه وتوبته، نال مكانة البنين مرة أخرى، ولبس الحُلَّة الأولى، كما ذكرنا. ويقول كاتب كتاب "أمثال المسيح" إنَّ الرابي أليعازر (نهاية القرن الأول) كان يُعلِّم قائلًا: [تُبْ يومًا قبل موتك. فسأله تلاميذه: ولكن كيف يمكن للمرء أن يعرف يوم موته؟ أجابهم: هذا مدعاة له لكي يتوب اليوم، لأنه قد يموت غدًا، ثم أضاف قائلًا: [إنَّ الثوب اللائق للوليمة هو التوبة، فالبسه قبل فوات الأوان (يومًا قبل الموت) فالويل لمن لم يستعد بالتوبة][(١)]. كذلك فإنَّ الأمم لما آمنوا ودخلوا الكنيسة، كان لا بد أن يحتفظوا بنقاء حياتهم مع الله، بالاستمرار في حياة التوبة، لتكون لهم الحياة النقيَّة، وهي الثياب الملائمة للعرس، أي الوجود في الكنيسة التي على الأرض، والامتداد بها إلى الأبد[(٢)].

٣– **المحبة ثوب العرس:** يقول القديس غريغوريوس الكبير: [من يأتي إلى وليمة العرس بدون ثوب العرس، إنَّما ذاك الذي له إيمان بدون حُبٍّ][(٣)]. ويقول أيضًا: [إنَّ الثوب الملكي للعرس إنما يُنسَج بين عارضتين، هما محبة الله ومحبة القريب. فالحبُّ هو طبيعة تتَّسم بها النفس. ولا تقدر أن تفصل محبة الله عن القريب، ولا محبة القريب عن الله][(٤)]، كما يقول أيضًا: [بحق تُدعَى المحبة ثوب العرس، فقد التحف بها خالقنا عندما جاء إلى عرسه مع الكنيسة][(٥)]. أمَّا القديس يوحنا ذهبي الفم فيقول: [المحبة هي الثوب الملوكي الذي يلتحف به الإنسان، فيصير كملكة تدخل إلى العرس لتلتقي بالملك

---

(١) أمثال المسيح – كوستي بندلي ص ١٠٣.

(٢) الموسوعة الكنسية في تفسير العهد الجديد – ص ٢١٤.

(٣) تفسير الكتاب المقدَّس العهد الجديد – إنجيل متى – القمص تادرس يعقوب ملطي، ص ٤٦٢.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٦٣.

(٥) المرجع السابق، ص ٤٦٣.

السمائي، ولا يقدر أحد من رجال البلاط أن يعترض طريقها][٦]. ونأتي للقديس أغسطينوس الذي يقول: [الثوب في وصيَّة واحدة يلتزم بها المسيحي هي (المحبة)... إنَّ غاية الوصيَّة هي المحبة... ليكن لكم الإيمان العامل بالمحبة فإنَّ هذا هو ثوب العرس... لتصير فينا المحبة كاملة ولننتَعِش فتتكمَّل داخلنا، بهذا نرتدي ثوب العرس[٧].

٤- ثوب الخلاص والمجد: يترنَّم إشعياء قائلًا: «فَرَحًا أَفْرَحُ بِالرَّبِّ. تَبْتَهِجُ نَفْسِي بِإِلهِي، لأَنَّهُ قَدِ أَلْبَسَنِي ثِيَابَ الْخَلاَصِ. كَسَانِي رِدَاءَ الْبِرِّ، مِثْلَ عَرِيسٍ يَتَزَيَّنُ بِعِمَامَةٍ، وَمِثْلَ عَرُوسٍ تَتَزَيَّنُ بِحُلِيِّهَا» (إش ٦١:١٠). فثوب الخلاص هو ذاك الذي يُلبِسه الآب للمخلَّصين، فهو رمز الحياة التي لا تشيخ ولا تفنى، ومثال المجد الموهوب من الله للجماعة التي قبلت برَّه، وآمنت بعمله وخلاصه، ووهبت حياتها لمجد اسمه. ويكتب عن هذه الثياب القديس يوحنا الرائي فيقول: «أُشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَ مِنِّي ذَهَبًا مُصَفًّى بِالنَّارِ لِكَيْ تَسْتَغْنِيَ، وَثِيَابًا بِيضًا لِكَيْ تَلْبَسَ» (رؤ ٣:١٨).

٥- **ثوب نعمة الروح القدس والإنسان الجديد:** يقول القديس هيلاري أسقف بواتييه: [ثوب العرس هو نعمة الروح القدس، والبهاء الذي يضيء الحالة السماوية التي يتقبلها بالاعتراف الصالح الذي للإيمان، فيصير المؤمن بلا دنس ولا عيب إلى اجتماع ملكوت السموات][٨]. كما يقول أيضًا القديس يوحنا ذهبي الفم: [إنَّ ثوب العرس هو الحياة الداخلية المقدَّسة، والمُعلَنة في التصرفات العملية للإنسان]. فما نلناه في المعمودية، بتغيُّرنا إلى صورة خالقنا، يُلزِم المؤمن بالحفاظ عليه، ناميًا في كلِّ نعمة بالروح القدس، خلال حياة التوبة والجهاد الروحي، المسنود بنعمة الروح القدس: «وَتَلْبَسُوا الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ» (أف٤:٢٤).

٦- **ثوب الحياة المقدَّسة وإكمال الوصايا:** من المؤكَّد أنَّ الدعوة لم تكن بسبب جدارة منَّا، بل هي نعمة من الله؛ ولكن من الضروري أن نردَّ على هذه النعمة بالمَثَل، وألاَّ نُظهِر بعد هذه الكرامة شرًّا عظيمًا، بإهمالنا للثوب الذي لبسناه، بل علينا أن ننقِّيه دائمًا،

---

(٦) المرجع السابق، ص ٤٦٣.

(٧) المرجع السابق ص ٤٦١ وما بعده.

(8) Catena. Aurea.

ونحافظ على طهارته بالحياة المقدسة، وذلك لن يتأتَّى سوى بحفظ وصايا الربِّ بكلِّ اجتهاد وأمانة. والقديس يوحنا ذهبي الفم يوضِّح لنا أنَّ الحياة المقدَّسة والممارسة الحقيقية لوصايا الربِّ هي هذا الثوب الذي للعرس؛ إذ يقول: [إن كانت الدعوة من النعمة، فلماذا يُطلَب منَّا حسابٌ صارمٌ؟ لأنه حتى لو كان من النعمة أن تُدعى وتُطهَّر، فمع ذلك، عندما تُدعَى وتُكسى بملابس نظيفة، يكون الاستمرار بالمحافظة عليها هو من اجتهاد المدعوِّين][٩]. والقديس جيروم أيضًا يقول عن هذا الأمر: [ثوب العرس هو وصايا الربِّ، والأعمال التي تتمِّم الناموس والإنجيل، فتصير ثوبًا للإنسان الجديد، ومن يوجد يوم الحُكم حاملًا اسم (مسيحي) وليس عليه هذا الثوب يُدان][١٠].

موقف غير اللابسين لباس العرس:

إنَّ معنى «ليس عليه ثياب العرس»، لا تفترض فقط مجرد عدم لبسه ثياب العرس، بل إنها تشير كذلك لأولئك الذين دخلوا إلى العرس بثياب متَّسخة؛ بمعنى أنْ يرحل المرء من هذه الحياة بحياة نجسة وغير مرضيَّة أمام الله. وعندما يفحص الملك المدعوِّين، ويرى مثل هذا الإنسان، فلن يسأله عن ثيابه المتَّسخة؛ بل سيقول له: "كيف دخلت إلى هذا المكان؟"، إذ إنه ليس المكان المناسب له! حينئذ سيصمت ولن يقدر أن يجيب، وسيُحكم عليه بالطرد إلى الظلمة الخارجية، حيث لا يوجد وقت للاعتذار. ويقول أيضًا العلاَّمة أوريجانوس: [من يخطئ ولم يتجدَّد ولا لبس الربَّ يسوع المسيح، ليس له عذر، لذلك قيل: «سَكَت»][١١]. إذن، فتسويف العمر باطلًا، وعدم تقديم توبة صادقة مستمرَّة، سوف يضيِّع على الإنسان فرصة حفاظه على ثوب النعمة الذي وهبه له المسيح، مجانًا ونظيفًا طاهرًا في يوم معموديته، وبالتالي لن يقدر أن يحضر عرس ابن الملك. كما إنه من الواجب علينا أن نعدَّ أنفسنا لهذا العرس، متزيِّنين في أنفسنا بزينة الروح القدس الوديع، نابذين كلَّ اهتمام بالزينة الأرضية والخارجية، لئلاَّ نوجد عراة في يوم الحُكم.

---

(٩) هذه إشارة إلى المعمودية التي بها نغتسل من خطايانا، ونلبس الإنسان الجديد بنعمة الله، لا باستحقاق منَّا. ولكن المحافظة على هذه الحياة الجديدة والملابس الجديدة منوطة بجهادنا الروحي. (شرح انجيل متى)- ق. يوحنا ذهبي الفم - د. عدنان طرابلسي. الجزء ٤ ، ص ٢٠.

(10) Catena. Aurea.

(11) P.G.13:1524.